

خطاب وصف العتبات النصية المتشكلة في رواية الليالي حبلى بالأقمار

A Discourse Describing The Textual Thresholds Formed In The Novel "The Nights Are Pregnant With Moons"

حبيبة حجاج¹، وردة سلطاني²

Habiba Hadjadj¹, Ouarda Soultani²

1 جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، habiba.hadjadj@univ-batna.dz

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

2 جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، ouarda.soultani@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/07/30

تاريخ الاستلام: 2023/05/19

الملخص: يعالج بحثنا خطاب وصف العتبات النصية المتشكلة في رواية "الليالي حبلى بالأقمار" لصاحبها "معمر حجاج" وهو من الروائيين الجزائريين المبدعين في مجال الرواية الجزائرية، فحاولنا تحليل الظاهرة العتباتية في الخطاب الواصف للرواية، وانطلقنا من تحديد المفاهيم من قبيل العتبات النصية والخطاب الواصف ثم سعينا إلى البحث في تشكّل عتبات العنوان والإهداء

وقد بينّا من خلال دراسة هذه العتبات ومحاولة فك سُنن وشفرات هذه الرواية، من خلال مسالة عتباتها النصية أنها تعدّ مفاتيح إجرائية ومتمّات نصية تعمل جنباً إلى جنب مع النصّ الأساس لتشكّل لوحة فنية متلاحمة، وتتواطأ لإغراء المتلقي وإقحامه في إنجاح دائرة التلقي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الواصف، العتبات النصية، العنوان، الإهداء.

Abstract:

We are dealing in our research with the descriptive discourse that delineates the text thresholds which happened to be formed in the Algerian novel titled "The Nights Are Pregnant With Moons" by the most Algerian pioneering novelist MOHAMMED HADJJI. We attempted to analyze this latter by defining its crucial concepts. Furthermore; we sought to take a closer look at the formation of the title and dedication thresholds.

We have shown after a deep and meticulous studying, along with every possible endeavor to decode this novel through catechizing its text thresholds which are considered to be the procedural keys and text complements that work side by side with the base text to outcome a cohesive artwork.

Keywords: Descriptive, Discourse, Text Thresholds, Title, Dedication.

المؤلف المرسل: حبيبة حجاج ، الإيميل: habiba.hadjadj@univ-batna.dz

مقدمة:

لم تعد عملية الولوج إلى النصّ الأدبي في الدّراسات الحديثة مباشرة كما في السّابق، بل أصبح من الضّروري الاستئذان والمروء عبر عدّة عتبات هي في حدّ ذاتها نصوص لا تضاهي النصّ المركزي أو المدوّنة في الحجم، لكن لا يمكن الاستغناء عنها وتقديم نصّ خالٍ منها، فهي تتلاحم مع النصّ شكليا وجماليا وحتّى من جانب المضمون، وتسهم في فهم النّصوص الرّوائية المعاصرة، "فهي تلك المجموعة من التّمّمات لنسيج النصّ الدّالّ كونها خطاب قائم بذاته، وهي النصّ المصاحب أو النصّ الموازي المطوّق للنصّ الأصلي والذي يعني مجموع النّصوص الّتي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه، حواشٍ وهوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس ومقدّمات وخاتمة وغيرها من بيانات النّشر المعروفة، الّتي تشكّل في الوقت ذاته نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الّذي يخفّره أو يحيط به، بل إنّّه يلعب دورا هامّا في نوعية القراءة وتوجيهها" (ع. بلال، 2000، ص16). وهو ما يحيلنا إلى تقسيم العتبات النصّية إلى خارجية وهي تلك الماثلة خارج النصّ من غلاف وعنوان وصورة وغيرها، والدّاخلية فتتمثّل أساسا فيما نجده بين دفتيّ العمل الأدبي من إهداء وتصدير وهوامش وتعليقات وغيرها.

ومن هنا جاء مقالنا تحت عنوان "خطاب وصف العتبات النصّية المتشكّلة في رواية الليالي حبلى بالأقمار"، محاولين اقتحام عالمها العتباتي من خلال ثنائية العنوان/ المقدّمات، أو عتبة داخلية/ عتبة خارجية، والإجابة عن مجموعة من التّساؤلات هي: ما هو الدّور الأساس للعتبات النصّية في فهم الرّواية؟ وهل تكفي بكونها نصوصا موازية منفصلة عن المتن؟ أم أنّها فعلا مفاتيح إجرائية حديثة في مقارنة النّصوص؟ وكيف تجلّت عتبتيّ العنوان والإهداء في الرّواية؟ هذه الأسئلة ستجيب عنها الورقة البحثية في إطار تاويل العلامات كما حددها بورس والقائمة على مبدئي المجاورة والمشابهاة.

ملخص الرواية:

رواية "الليالي حبلى بالأقمار" للروائي الجزائري معمر حجيج تناول فيها يوميات طفل جزائري إبان الثورة يعيش في قرية صغيرة من قرى الجزائر.

عالجت الرواية جانبا من حياة عائلة تعيش في قرية بالشرق الجزائري، وتدور وقائعها حول الطفل "الحسين" الذي عايش وجود المستعمر الفرنسي، فشهد العديد من الوقائع، جعلته يفهم الأمور على حقيقتها. يجد الطفل "الحسين" نفسه أمام موت ومقتل الغريب الأديب الشهيد الحب والحرية خطيب عمته حيزية، وأبيه الذي اعتقد أنّه غير دينه وهويته وأصبح شيوعيا كما أخبره جده وترك عائلته لمحن الحياة، فيتربى مع جده وجدته اللذين زرعاً فيه أحسن القيم والمبادئ والأخلاق. فحمل الطفل الحس الثوري الوطني، بنزعه المقاومة الراضة للوجود الاستعماري، بالإضافة للحس الديني الذي جعله يحفظ كلام الله عز وجل عن ظهر قلب، ومحافظة على الثوابت الوطنية من لغة وهوية وثقافة.

وتتقاطع أحداث القرية في شخصية "الحسين"، إذ تناول الروائي العديد من المواضيع أو القصص التي عرفتھا المنطقة و"الحسين" كان حلقة الوصل بينها.

يعتبر الطفل الحسين - في الرواية - رمزا لتضحيات أطفال الجزائر، فهو أصغر فدائي في الثورة، دخل عالم النضال وسنه لم يتجاوز التاسعة، عندما رافق جده تعلم منه الكثير من المواقف النضالية والثورية، فكان يلتزم الهدوء تماما كالمناضلين.

1- الخطاب الواصف:

لنتوسع في الحديث عن الخطاب الواصف وجانبه النظري (Métadiscours)، والذي يحمل تعريفات كثيرة إلا أنها تتفق كلها على أنها تعليق الرواية على ذاتها، وكلامها على نفسها، وهو يمثل نصا نقديا يحمله نص تخيلي يسميه "جيرار جينيت" "اختراقا سرديا" (Métalipse) وهو كل تدخل يقوم به السارد أو المسرود له الخارجان عن الحكاية (أو هو كل تدخل لشخصيات قصصية في عالم قصصي من درجة ثانية إلى آخره) أو عكس ذلك.

ولا نقصد هنا بالخطاب الواصف ذلك النص الذي تنتظر فيها لرواية إلى ذاتها فقط، إنما سنعتمد تعريف "بيار فان هوفل" Dan Van Pierre "Heuvel" الذي يرى أن الخطاب الواصف لا يقتصر على الخطاب النقدي الذي يدخل في بنية الرواية الحكائية فحسب، إنما هو واسع ليشمل كل النصوص التي تنتمي إليه (إلى الخطاب الواصف) وهو "يشمل الملفوظات الموجودة على هامش النص من قبيل: العناوين والمقدمات والتواطئات والتصديرات وكلمات الإهداء والحواشي والملاحق" (Heuvel, 1985, p. 110)، وهو ما يسميه "جيرار جينيت" "بالنصوص الموازية، أو المتعاليات النصية، فهو ينتقل من الشعرية النصية إلى أخرى متعالية يقول في هذا الصدد: "في الواقع لا يهمني النص حاليا إلا من حيث (تعاليه النصي)، أي أن أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أم جلية مع غيره من النصوص: هذا ما أطلق عليه "التعالي النصي" وأضمنه "التداخل النص" (جيرار جينيت، د.ت. ص 90) ويعتبر "هوفل" أن هذه الملفوظات "لا توجد ضمن العالم الروائي، وإنما على تخومه فوضعها الكلامي لا ينتمي إلى الخيال وإنما إلى الحقيقة" (Heuvel, 1985, p. 110).

بالنظر إلى المفهوم الذي أعطاه: "هوفل" للخطاب الواصف، لأنه اعتبر النصوص الموازية خطابا واصفا، وهو مانسعى لدراسته وهو ما يهمنّا لأنه لا يجعل الخطاب الواصف مقتصرًا على الجانب النقدي الذي يكون داخل الرواية، بل يدمج النصوص الموازية والتي اخترنا منها ثنائية هامة العنوان / الإهداء لاستنطاقها.

2- العتبات النصية:

المفهوم اللغوي للعتبات النصية:

ورد في معجم لسان العرب في مادة عتب تعريف العتبة على أنها أسكفة الباب التي توطأ، وقيل العتبة العليا، والخشبة التي فوق الأعلى، الحاجب و الأسكفة: السفلى، العارضتان: والعضادتان وجمع عتب وعتبات. والعتب

الدرج وعتب عتبة: اتخذها وعتب الدرج من قبلها إذ كانت من خشب وكل مراقبة منها عتبة (ابن منظور، 1997، ص21)

المفهوم الاصطلاحي للعتبات النصية:

العتبات النصية هي تلك المتممات المحيطة بالنص، وتعرف بـ Paratexte بنوعها المصاحب للنصي والمحيط النصي، كما جاء به "جيرار جينيت" التي تتسج النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه وتميزه عن غيره وتعين موقعه في جنسه وتحدث القارئ على اقتتانه" (جيرار جينيت، 1997، ص15) ومن خلال هذا التعريف ننبين أنّ العتبات التي تحدد هوية النص وهي متعدّدة ومتنوّعة تمثل معابر تعين المتلقي على المسك بالخيوط الأساسيّة لقراءة النص، كما تعدّ وسيلة لإغرائه ليُقبل عليها ويكتشف عوالمها.

وهي بهذا تربط علاقات وصلات حميمة بينها وبين النص، "إذ تمكنه من تحديد العناصر المؤطرة لبنائه أو معماريته والمحيط به، وبعض طرائق تنظيمه وتحقّقه التخيّل من جهة أخرى؛ أي أنّها تحمل في طياتها وظيفة تأليفية، تحاول كشف استراتيجية الكتابة عند المبدعين" (عبد الرزاق، 2000، الصفحات 21-22)، وكلّ هذا أسهم في إعطاء قيمة وتوجيه الاهتمام بمجموع هذه النصوص الموازية، فولّد علما جديدا يحيل على مقصدية معينة.

أصبح مفهوم "العتبات النصية" مفتوحا، إذ لا يمكن التوقف فيه عند عتبات معينة على الرغم من أن عتبة العنوان والتصدير والإهداء تمثل أنساقا رئيسية في فضاء العتبات إلا أن ثمة أنساقا أخرى لا حدود لها من العتبات النصية التي لا يمكن أن يجترحها النص الأدبي في أشكاله المختلفة (الشعري، والسردى) حسب الضرورات النصية التي تقتضي إحلالها في فضاء خطابه (عبد الفتاح الحجمري، 1996، ص17)

تعدّ العتبات النصية بنايات لغوية وغير لغوية تتظافر في تشكيل الفهم السليم للنص، وراح "ناصر شبانة" لاعتبارها "المناطق الأكثر إشعاعا في النص والأكثر حساسية (شبانة، ن، 2009، صفحة 46)، مرجعا سبب ذلك لأهميتها الكبيرة ودورها المنوط بها بالنسبة للقارئ، وتمكينه من "الوقوف عليها في سبيل التكيف مع تضاريس النصّ وألوانه" (شبانة، ن، 2009، صفحة 46)، وهو ما يدلنا على كونها الوسيط الفعّال والفاعل في إنجاح عملية التلقي، وسنعرض فيما يلي ثنائية العنوان/ الإهداء :

2-1- خطاب وصف العنوان وتشظيات الأقمار:

يُعدّ العنوان (Le Titre) ج، جينيت، 1981) عنصرا أساسيا بوصفه مفتاحا تأويليا يمكّننا من الولوج إلى عالم النصّ، فهو يمثل أولى محطات لقاء المتلقي؛ إذ أنّه "المحور الذي يحدّد هوية النصّ، وتدور حوله الدلالات وتتعلق به، وهو بمكانة الرأس من الجسد ويؤدّي دورا هاما، لأنّه يفتح شهية المتلقي للقراءة" (الرواشدة، 2006، صفحة 134)، يتمظهر ذلك من خلال تراكم الأسئلة في ذهن القارئ، التي نزع أنّ العنوان يعمل على إثارتها

بشدّة، فيسعى القارئ إلى تفكيكه بُغية الدّخول إلى عالم النّصّ وقراءته، وبحثا عن إجابات تشبع فضوله المعرفي وتساهم في تبين مسالك النّصّ.

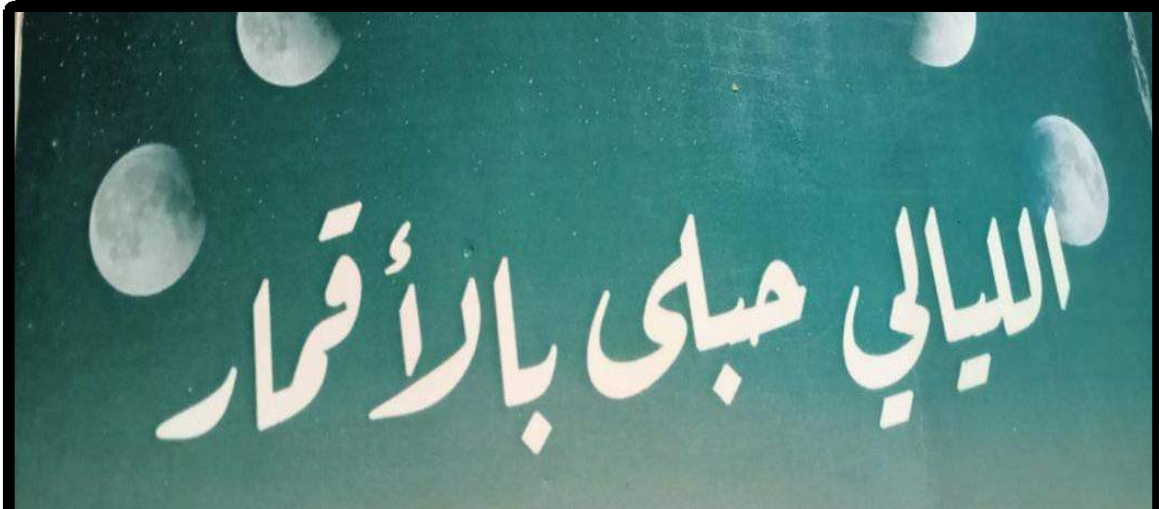
يمثّل العنوان العتبة الأولى (Le seul) التي تواجه القارئ وتقع عليه مسؤولية تأويله، كونه مدخلا رئيسيا لقراءة العمل الأدبي، نظرا لما يكتسبه من أهمية في علاقته بالمضمون، وحين يستسلم العنوان للتأويل تتضح معالم النّصّ، وتضاء الرّؤى الفكرية والفنية لدى صاحبه، "فالعلاقة بين مضمون النّصّ وعنوانه علاقة وظيفية تكاملية يُمكن أن تفسّر السّياق الدّاخل لل عمل الفنّي " (باديس، 2002، صفحة 85)، وكما أنّه في أيّ عمل أدبي "لابدّ أن تكون العلاقة بين العنوان والنّصّ علاقة جدلية، إذ بدون النّصّ يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدّلالي، وبدون عنوان يكون النّصّ باستمرار عرضة للدّوبان في نصوص أخرى" (باديس، 2002، صفحة 215)

يحتلّ عنوان الرّواية مركز الصّدارة في الصّفحة الأولى للغلاف، وهو الشّفرة الرّمزية الأولى التي يلتقي بها القارئ ممّا يستدعي التّركيز عليه بُغية تحليله وتفكيكه، ومعرفة مدى ارتباطه بمحتوى النّصّ، لأنّه مفتاحه كما قلنا سابقا، والعتبة الأولى المؤدية إلى المعنى لتستقرّ أفق انتظار المتلقّي، ليقوم بالعملية الموكلة إليه؛ أي التّحليل والتّأويل.

لا يعني هذا أنّ كلّ العناوين تعدّ مفاتيح مباشرة لنصوصها "فهناك عناوين مراوغة قد تُبعد القارئ عن المضمون، عندها لا يسع للقارئ إلّا قراءة النّصّ بتمعّن كي يستجمع خيوط اللّعبة التي تحاك ضده" (فريدة، 2012، صفحة 215)، فالمرؤف يسعى لإثارة القارئ بالعناوين التي تجعله يطرح الأسئلة، وهو ما يُعزّز طرح "أمبيرتو إيكو"؛ حيث ينبغي على العنوان أن يشوّش الأفكار وليس أن يوحدّها" (لطيف، 2002، صفحة 215).

يمكن إجمال القول في أنّ العنوان هو الرّسالة اللّغوية والعتبة الأولى التي يتلقاها القارئ، بإمكاننا، وهو علامة تستقرّ المتلقّي وتعمل على تحفيزه بُغية الحفر في مدلولاتها ويمكن عدّه الواجهة الإشهارية، والإغرائية والتعينية المحمّلة بشحن مكثّفة من المعاني.

يبدو العنوان الرّوائي "الليالي حُبلى بالأقمار" للوهلة الأولى من العناوين غير الواضحة نسبيا، فسياق تركيبه يُنتج العديد من الدّلالات التي تبدو مبهمّة وغامضة هذا -ربّما- ماراهن عليه الرّوائي؛ إذ يُغري العنوان بعدم التّحديد، ويتأتّى ذلك من توظيف عنوان يشدّ القارئ إليه شدّا "الليالي حُبلى بالأقمار".



الليالي حُبلى بالأقمار

جاء العنوان جملة اسمية (مبتدأ + خبر + جار ومجرور)، والبدء بالاسم يُعزّز التمسك بالنمط والمحافظة على المبدأ في نفس الروائي، واستخدام الجمل الاسمية عادة يدلّ على تمسك الروائي بقضايا الوطن والأمة، ومحاورة عديد القضايا، ومن جانب آخر المحافظة على وضوح الأساليب التعبيرية، خاصّة استخدام عنصر التشويق واختيار العناوين الصّادمة المستفزة لذائقة المتلقّي، ما يدفعه لقراءة العمل ومحاولة فهمه.

عنوان الرواية "الليالي حبلى بالأقمار" ورد جملة اسمية من مبتدأ وخبر وجار ومجرور (شبه جملة)، والمعروف أن الجملة الاسمية تدلّ على الثّبات والسكون وفي هذا مؤشر على أن ظروف القهر والاحتلال ليلها طويل مستمر، لكن رغم استمراره وعدم زخرفته إلّا أنّه يحمل في طيّاته أمل للتغيير.

كما يشتمل العنوان على ثنائية ضديّة ظاهرة تتكوّن من مؤشّرين (الظلام والنور) أو (الليالي والأقمار) وهما علامتان للتأويل تقومان على مبدأ فيما يطلق عليه "بورس" بالقرائن أو العلامات الطّبيعية، لأنّها تنهض على أساس السببية أو قانون العلبة (أحمد يوسف، 2005، ص88)، هذان المؤشّران يحملان إيجاء بالصراع بين اليأس والأمل، فالجمع بين مصدري الظلام والنور يفتح أفقا تأويليا لعلاقة الإنسان بذاته.

يشير العنوان إلى ثراء الليالي بالأسرار والأحداث المعلقة والمتمثلة في الاستعمار، والأقمار تحمل رموزا للشخصيات والتحوّلات الدرامية المنتظرة وارتباطه بالمؤشر (حبلى) فيها إيجاء بالانتظار والأمل والولادة المحتملة، مما يربط النصّ بحركة الزمن وتحدّد الحياة رغم الظلام المسيطر

لهذا نجد "معمر حبيج" من الروائيين الذين يميلون إلى العناوين الطويلة التي تحوي أكثر من كلمة في جمل أعماله الروائية، وعلى هذا الأساس نجد التركيب اللغوي الذي اختاره للعنوان ينسجم مع مضمون عمله الإبداعي، الذي يصوّر لنا حياة الطفل "حسين" الذي كان قمرا يولد في الليالي بصور مختلفة جعلت منه قمرا مُنشّطاً بل أقمارا عديدة، وهو أيضا من باب أن يكون العنوان مماثلا للطبعة الأجنبية للنصّ (نقصد بجنسها الرواية) من حيث طوله وطولها.

أمّا الجانب الدلالي الذي حواه العنوان وهو مرتكز دراستنا: فيعدّ العنوان "الليالي حبلى بالأقمار" نصّا علويا مرتبطا بالنصّ الإبداعي وببنية الزمانية والمكانية وشخصياته، ممّا يربط بين المضمون الدلالي والمضمون العتباتي.

يأخذ قارئ الرواية من العنوان ما يشكل صورة ذهنية تحيله على ليال بها أقمار كثيرة وما يجده في الليالي المقمرة الجميلة، التي تنير الإعجاب بجمالها والرغبة في السهر فيها، ومع الرواية تدفع القارئ للسهر لأجلها وحلّ شيفراتها، ماذا نقصد بالليالي ومن هي الأقمار التي هي حُبلى بها لتحيلنا مباشرة إلى قراءة الرواية واكتشاف أن الليالي هي تلك الظروف والمراحل الحياتية التي عاشها الطفل "حسين" أثناء الثورة خاصة، أما الأقمار التي هي حُبلى بها هي تلك الصور المختلفة التي شكّلت صورة وشخصية "حسين" الذي نجده طفلاً ثائراً ضدّ المستعمر الفرنسي مدافعاً عن وطنه يحمل همّه في قلب رجل حكيم يحتويه جسم طفل صغير، "وألقب بالتائر، فينظرون إليّ بأنني رجل في غير أوانه، فأمطر جدّي بسيل من المدح والاعتزاز والنخوة" (حجيج، 2018، صفحة 72)، وأما القمر الآخر فهو كونه حافظ لكتاب الله عزّ وجلّ، وهو ما كان يدأب عليه الأهالي في تلك الحقبة المريرة محافظة منهم على الدين الإسلامي، ونوع من الكفاح ضد مستعمر جاء ليطمس كل معالم الهوية الجزائرية وهو ما جاء على لسانه: "أما لي أن أحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وأمنيّتي أن يحفظ أطفال الدّنيا كلّهم القرآن مثلي..." (حجيج، 2018، صفحة 15)

وقد لاقى تشجيعاً من الشهيد الأديب أحد شخصيات الرواية، "حسين" راح يناديه "أبو هريرة" هذا الزّمان، أو أمير المؤمنين: "من اليوم سأناديك أبو هريرة، وإمام المهطعين إلى نصرّة الحقّ بالبيان، وستكون أميراً من أمراء الحديث النبوي... وستصبح قمة من قمم مفسري القرآن، وقاهر أئمة السّلطان والبهتان، وقائد من قوّد الجهاد يوم الطّعان" (حجيج، 2018، صفحة 26).

وهو هنا بمثابة القمر الذي تحب لبه الليالي ينتظره الأهالي وكأنّه المهدي المنتظر ترجو الخلاص على يديه: "هذا الطّفل سيوحّد بين الأمة" (حجيج، 2018، الصفحات 94-95)، وقمر آخر هو ذاك الطّفل المُتَشَبِّهُ بقيمه وهويته وثقافته، حيث وعلى الرّغم من صغر سنّه إلّا أنّه واع بما يحدث في وطنه من استعمار غاشم، ووضع متردّ تعيشه الأهالي.

وكان للتربية السّوية التي تلقاها من جدّه دور هام في بناء هام في بناء شخصيته وصقلها، وجعله يعلم ويؤمن أنّه قمر تحمله ليالي الوطن في أحشائها ليُولد منقذاً له، مدافعاً عن كلّ معتقداته التي بدأها بمعاداة عادات جدّته في التّبرّك بالأولياء: "دخلت جدّتي إلى ضريح الولي الصّالح فقَبَلته... طلبت مِنّي أن أقبله، تردّدت لكنّ جدّتي قفلت من إحجامي، قطبت وجهها غضباً، أمسكت برأسي دفعت به نحو الضّريح، قالت لي بصوت خافت لكّنه حازم يا أيّها الولد الشّقي قَبَله بسرعة لتتال بركته، لقد أفسد عقلك جدّك وعمّك المبارك، قَبَلته ببرودة ترضية لجدّتي، فرضت عليّ أن أكرّر تقبيله سبع مرّات، كنت كلّما قَبَلته أشعر بدوار يلفّ رأسي، وبمرارة في فمي أتجرّعها كالعلقم" (حجيج، 2018، صفحة 152).

أيضاً نجده يكره أن يتفرنس لسانه حين راح إلى المدرسة ليتعلّم وكرهه هذا أيضاً بسبب والده الذي اتهم بالشُّيوعية وأنه باع الوطن وكلّ شيء وغادر مع زوجته الفرنسية: "أبي رومي.. أبي رومي.. جرّنتي رجلاي بسرعة لكي أخفي عن الأنظار" (حجيج، 2018، صفحة 152)، فكره المعلّم والفرنسية وعدّهم جهنّم واحمرارها في حين أن العربية هي الجنّة واخضرارها: "المعلّم والفرنسية هما لاحمرار، وشيخ القرآن والعربية هما الاخضرار" (حجيج، 2018، صفحة 40) وهو ما يدلّ على تمسّكه الشّديد بهويته.

نرى أنّ هناك توافق بين عنوان الرّواية ومنتها، يتضح ذلك من خلال قراءة الرّواية ومساءلتها وإسقاط عنوانها على ما جاء فيها من أحداث فنكتشف أنّ ما هذه الليالي إلّا ظلم الاستعمار وما فرضه على الجزائر من قهر وجهل، ومحاولة لطمس كلّ معالم الهوية الإسلامية العربية، وما الأقمار إلّا الصّور المختلفة المشكّلة لشخصية "حسين" من طفل حافظ للقرآن محافظ على معالم هويّته ثائر ضدّ الاستعمار، وهو صورة بل قمر لكلّ أطفال الجزائر الذين حبّلتن بهم ليالي الاستعمار الطويلة، والذين سيعلمون بميلادهم ميلاد عهد جديد للحرية وسطوع شمس الوطن التي ستبدّد ظلم الليالي التي فرضها الاستعمار العاشم.

أيضاً لا ننسى أنّ كتابة العنوان باللّون الأبيض ممّا لهذا اللّون من تأثير على النفوس، ويرتبط به النّاس عادة لما يبعث في النفس من الطمأنينة والرّاحة، قال تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (آل عمران، الآية 107)، فهو مقترن بالنّعم والرّحمة والجنّة، فهو أعطى للعنوان شاعرية وجمالاً وإعلاناً لميلاد أقمار من ليالي الظلم والاستبداد.

وبهذا فإنّ العنوان أسهم في تشكيل صورة مسبقة للعمل فهو "على أهميته أصبح علماً مستقلاً له أصوله وقواعده التي يقوم عليها، فهو يوازي إلى حدّ بعيد النّصّ الذي يسمّيه لهذا فإنّ أي قراءة استكشافية لأي فضاء لابدّ أن تتطلّق من العنوان" (رحيم، 2010، صفحة 46)، فهو أول ما يخاطب القارئ وهو نصّ مختصر يسهّل عملية التّعامل مع العمل -الرّواية- وهو المفتاح الرّئيسي الذي يفتح باب الولوج لعوالمها.

2-2- الإهداء:

يعدّ الإهداء عتبة هامّة للولوج إلى النّصّ ف "الإهداء تقليد قديم أشار إليه الأدباء والكتّاب وقبلهم الشعراء، وهم يتوجّهون بإهداءاتهم إلى شخصيات لها حضورها ودورها في الأوساط النّقافية والسّياسية والدينية" (البياتي، 2014، الصفحات 88-89)، وهو يشتغل بالأساس على توطيد العلاقة بين المُهدي والمُهدى إليه، حيث يعدّ "الإهداء هو تقدير من الكاتب وعرفان يحمله للآخرين، سواء كانوا أشخاصاً، أو مجموعات (واقعية واعتبارية)، وهذا الاحترام يكون إمّا في شكل مطبوع (موجود أصلاً في العمل -الكتاب-)، وإمّا في شكل مكتوب يوقّعه الكاتب بخطّ يده في النّسخة المُهداة" (بالعابد، 2008، صفحة 94)، ونجده على طرق مختلفة متعدّدة شكر، امتنان...، حيث

نجد أنّ "جيرار جينيت" اهتمّ به وراح "يُفرّق بين إهداءين: إهداء خاص يتوجّه به الكاتب للأشخاص المقربين منه، ويُنسَم بالواقعية والمادية، وإهداء عام يتوجّه به الكاتب للشخصيات المعنوية كالمؤسسات والرموز (الحرية، السلم، العدالة...)". (بالعابد، 2008، صفحة 95).

ونجد نوع آخر من الإهداء هو "الإهداء الذاتي": الذي يقول فيه "جينيت: "أصدق إهداء كونه إهداء حميمي وخاص ونادر الوجود" (أشهبون، 2009، صفحة 93)، ويكون بأن يهدي العمل إلى نفسه، وهو يعكس العلاقة الموجودة بين المؤلف ونفسه.

وبهذا نجد الإهداء قد دخل ضمن النصّ المحيط، فهو يُعدُّ عتبة نصّية مهمّة لما يعطيه من وظائف دلالية وفنّية تنير النصّ وتُسهم في فهمه، ونجده حسب "جيرار جينيت" ينحصر من حيث الوظيفة في وظيفتين:

أ- الوظيفة الدلالية: وهي الباحثة في دلالة هذا الإهداء وما يحمله من معنى للمُهدى إليه، والعلاقات التي سينسجها من خلاله.

ب- الوظيفة التداولية: وهي وظيفة مهمّة لأنها تنشط الحركة التواصلية بين الكاتب وجمهوره الخاصّ والعامّ محقّقة قيمتها الاجتماعية وقصديتها النفعية في تفاعل كلّ من المُهدي والمُهدى إليه (بالعابد، 2008، صفحة 99).

ورد إهداء رواية "الليالي حُبلى بالأقمار" في مستهلّ العمل الأدبي، وبه تصدّرت الرواية حيث ورد في الصّفحة الثّانية التي تلت العنوان، لذا فهو يحتلّ مكان المقدّمة في شكل تقديم أو تصدير أو استهلال، محتويًا مجموعة من العناصر الرّئيسية مثل: المُهدي، المُهدى إليه وسياق الإهداء، فتاريخ البحث في التّموضعات الفضائية للإهداء تكشف "في القرن 16م يتّخذ من أعلى الكتاب أو رأسه مكانا له، أمّا في الوقت الحالي فهو يتموضع في الصفحة الأولى التي تعقب صفحة العنوان مباشرة" (بالعابد، 2008، صفحة 95)، وهذا نصّ الإهداء:

الإهداء

أهديها فقط، فقط:

إلى كل الأطفال الحالمين بأن يبقوا أطفالاً مهما تقدمت بهم أعمارهم، وأن يملؤوا
الحياء العبا وأنعاماً خضراء، وأن يهدوا ابتساماتهم لكل الخلق كالورود تعطر كل الأجواء...
وإلى كل المرضعات للأنبياء، والأنبياء، والشهداء، والشعراء، والعلماء، والبؤساء،
والنساء، واللواتي يقدمن الحنان لكل الأطفال بسخاء...

وإلى كل الأبطال الذين يقلعون جذور الشر من النفوس، ويقدمون دماءهم الزكية
ليعيش غيرهم أحراراً كرماء...

وإلى كل من يصدق بكلمة الحق لنشلق الظلام، وتنتشر الأسوار في كل الأكوان
مقطوفة من حدائق الأنبياء، والعلماء، والحكماء، والفلاسفة والشعراء...

وإلى كل من رحل، وخبأ في روحه نجومًا، وأقمارًا، وشموسًا، وعطرا، وألوانًا من
قوس قزح لأشعار، وأفكار، ولم يأت من عليها أيا كان من اللؤماء...

وإلى جدي وجدتي وأبي وأمي الذين رحلوا، واقتبست من مهجهم المنالئة بالعزة
والكرامة ما أثار طريقي الطويل في دنيا لا تستقر على حال، وراكبها كمن يركب على
حصان شرود لا يدري متى يزحزحه من فوق ظهره، ويجد أنفه ممرغا في تراب الغبراء...
وإلى زوجتي وأبنائي وبناتي فردا فردا، هم الأمناء بعدي على بنات أفكاري، ويجدون
لي العذر على أشجائي وحقاقتي وسخاقتي لكي لا يورثوها لأحفادي العظماء...

تتتمي رواية "الليالي حُبلى بالأقمار" إلى الروايات المتوسّلة بالتاريخ، دون أن تكون تاريخية تماماً، وهي بذلك تحكي مرحلة الثّورة المباركة، تنكّى على أحداث فترة زمنية، حيث يكون مرجعها معروفاً وتكون "الأحداث حقيقية أو مقدّمة باعتبارها حقيقية، وتكون قد حدثت بالضرورة في زمن تاريخي سابق للسرد (حجيج، 2018، صفحة 3)، وقد عمد الرّوائي هنا إلى تصوير واقع الجزائريين وملامحهم، من خلال شخصية "حسين" والأحداث التي يعيشها، تجلّى ذلك من خلال إهدائه الذي جمع بين نمطي الإهداء العام والخاصّ، وبناءً بمعمارية فنيّة متميّزة وازن من خلالها بين الشّكل والمضمون.

اعتمد "معر حجيج" في روايته إلى الجمع بين نمطي الإهداء العام والخاصّ:

ج- الإهداء الخاصّ: جاء مترجماً لتلك العلاقة العائلية الحميمة الطّبيعية: "إلى جدّي وجدتي وأبي وأمي الذين رحلوا، واقتبسْتُ من مهجتهم المتألّئة بالعزّة والكرامة ما أنار طريقي الطّويل في دنيا لا تستقرّ على حال، وراكبها كمن يركبُ على حصان شرود لا يدري متى يُزحزحه من فوق ظهره، ويجدُ أنفه ممرّغا في تراب الغبراء..." (القاضي، 2010، الصفحات 231-230).

وفي هذا الجزء اعترف بالجميل، وعربون حبّ ووفاء لذكراهم كونهم المدرسة الأولى والعائلة والجنود المرتبطة بالأرض الذين لهم الفضل في أن زرعوا فيه حبّ الوطن والذين بل أرضعوه هذا الانتماء مع حليب الأمّ - رحمها الله - وكثيراً ما نجد تصويراً لهذا الحبّ الأوّل في صفحات الرواية.

منتقلاً إلى عائلته وعشّه الذي بناه: "والى زوجتي وأبنائي وبناتي فرداً فرداً، هم الأبناء بعدي على بنات أفكاري، ويجدون لي العذر على أشجاني وحمقاتي وسخافاتي لكي لا يورثوها لأحفادي العظماء.." (حجيج، 2018، صفحة 3).

وهو إهداء يعكس علاقة الحبّ والاحترام التي تربطه بعائلته الصّغيرة، لدرجة أن ياتمنهم على بنات أفكاره - رواياته وقد تكون أعمال لم تُنشر بعد - وهو يلتبس العذر عمّا جاء في أعماله الإبداعية لما تحمله من فكرة وريما توجّهاته خاصّة الإيديولوجية التي ربّما لن تتوافق مع بعضهم، وهو قَمّة الحبّ والاحترام والتّواضع الذي يسود علاقاته الأسرية.

د- الإهداء العامّ: وهو الإهداء الذي يحمل الصّلة الوثيقة بالمتن الرّوائي فنجدّه يبدأ به: "إلى كلّ الأطفال الحالمين بأن يبقوا أطفالاً مهما تقدّمت بهم أعمارهم، وأن يملأوا الحياة ألعاباً وأنغاماً خضراء، وأن يُهدوا ابتساماتهم لكلّ الخلق كالورود تعطر كلّ الأجواء.." (حجيج، 2018، صفحة 3) وهو إشارة إلى الطّفل "حسين" الذي ملأ الحياة غبطة وأملاً زرعه في نفوس المحيطين به، وكان دائماً بمثابة المهدي المنتظر الذي سيُخلص الوطن وأحراره من

براثن الظلّم والظالمين: "ألا تعلم أنّك وأصحابك من حفظة القرآن من ستبنون لنا سفن النّجاة حين يعمّ الطّوفان، نحن نتبرّك بكم، ونترجّى من الله جلّت قدرته أن تكونوا وسيلة في تخفيف غضبه وسخطه عنّا بما تحملونه في صدوركم من كلام الله" (حجيج، 2018، صفحة 71) وفيه رسالة إلى كلّ الأطفال الذين في دواخلنا يرفضون أن يكبروا تعبيرا منه لرفض الواقع وخيالاته.

أيضا وجّه إهداءه العام إلى "كلّ المرضعات للأنبياء والأتقياء والشّهداء، والشّعراء، والعلماء، والبؤساء والتّعساء، واللّواتي يقدّمن الحنان لكلّ الأطفال بسخاء" (حجيج، 2018، صفحة 3)، وهو إهداء للمرأة الأمّ والزّوجة الصّالحة التي تحمل على عاتقها البيت وأبناءها لتوصلهم جميعا إلى برّ الحقيقة والتّميّز والأمان

"والى كلّ الأبطال الذين يفلعون جذور الشّرّ من النفوس، ويقدمون دماءهم الرّكية ليعيش غيرهم أحرارا كرماء....

إلى كلّ من يصيح بكلمة الحقّ لِتَشْنُقَ الظّلام، وتنتشر الأنوار في كلّ الأكوان مقطوف من حدائق الأنبياء، والعلماء والحكماء والفلاسفة والشّعراء" (حجيج، 2018، صفحة 3).

وهو يتحدّث عنّ ضحوا بأنفسهم من شهداء هذا الوطن المُفدّى لننعم بالحرّية وتعلوا راية الحقّ وتسطع شمس الحرّية، ففضوا بما قدّموه من تضحيات على ظلام الاستبداد، وحثّى من لا زال ينشد الحرّية ويرفض الخنوع والخضوع.

لم ينس: "إلى كلّ من رحل، وخبأ في روحه نجوما وأقمارا وشموسا وعطرا، وألوانا من قوس قزح لأشعار وأفكار، ولم يأتّم عليها أيّا كان من اللّوماء..." (حجيج، 2018، صفحة 3)، وهم من رحلوا وفاضت أرواحهم إلى بارئها كانت حبلّى بأقمار منيرة ونجوم متألّئة وشموس وهّاجة، لكنّهم لم يجدوا الوقت لإطلاقها، ولم يتّقوا في أحد ليتبنّاها بعدهم.

مما سبق يمكننا الجزم يقينا أنّ هناك رابط وثيق بين الإهداء والتمنّي الروائي، ويمكن عدّه نصّ مبدئي صغير لو حسّنت قراءته لتمكّنا من قراءة المتن دونما غموض، أو على الأقلّ فك شفرائه، وهو ما جاء على تبيانته "جبرار جينيت": "مهما كانت طبيعة المُهدى إليه فإنّ غموضا معيّنا يظلّ عالقا بفعل الإهداء، خاصة من حيث توجّهه، ومن هنا يمكن القول بأنّ كلّ فعل إهداء يستهدف على الأقلّ بالتّوازي نوعين من المرسل إليه: هناك المُهدى إليه طبعا، وهناك القارئ أيضا الذي يكون حاضرا بشكل ضمني في حدث الإهداء لفعل عمومي، فالقارئ لا يكون فقط شاهدا بل معنيا أيضا" (Genette, 1987, p. 126)، وهو بهذا يحقق لنا عملية تواصلية.

حدّد الروائي "معمر حجاج" من يقدّم لهم الإهداء، وهو بهذا يعين القارئ على عملية فك شفرات نصّه وفهمه وبهذا يكون الإهداء والرواية كلّ منهما خطاب واصف للآخر.

خاتمة:

نخلص ختاماً في هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في:

- 1- خطاب وصف العتبات النصّية هي فعلاً مفاتيح إجرائية تسهم في مقارنة النصوص.
 - 2- تلعب العتبات النصّية خاصّة منها العنوان كونه العتبة الأولى التي تواجه القارئ من العتبات الخارجية، والإهداء وهو أيضاً أول العتبات الداخلية مقابلة له، قلنا أنّها تلعب دور المتممات النصّية التي تُسهم في فكّ شفرات النصوص.
 - 3- يعدّ العنوان مهمّاً في تشكّل صورة مُسبقة للعمل، وهو أيقونة مشحونة بمجموعة كبيرة من المعاني التي تحيل إلى النصّ الأساس.
 - 4- الإهداء يستهدف القارئ ضمّنيّاً كونه معني أيضاً بحدثه (حدث الإهداء).
- العتبات النصّية خاصّة ثنائية العنوان/ الإهداء التي حاولنا مقاربتها في هذا البحث تحمل الكثير من المعاني التي تستقرّ القارئ وتغريه بقراءة النصّ.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. Gerard Genette .(1987) .seuils .Paris: collection Politique.
2. P Heuvel .(1985) .Parole, mot, silence .JoséCorti.
3. ابن منظور .(1997).لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1.
4. بلال عبد الرزاق. (2000). مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم. الدار البيضاء، بيروت: إفريقيا الشرق.
5. بن موسى، فريدة. (2012). زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية (الإصدار ط1). عمان، الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.
6. جبرار جينيت. (1997) خطاب الحكاية. تر: محمد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

7. جبرار جينيت. (د.ت) مدخل إلى النص الجامع. تر: عبد الرحمن أيوب. دار الشؤون الثقافية العامة. دار آفاق عربية. بغداد. ط1.
8. زيتوني، لطيف. (2002). معجم مصطلحات نقد الرواية (الإصدار ط1). لبنان: دار نهار للنشر.
9. سامح الرواشدة. (2006). منازل الحكاية دراسة في الرواية العربية (الإصدار ط1). عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
10. سوسن البياتي. (2014). عتبات الكتابة بحث في مدونة صابر عبيد النقدية (الإصدار ط1). الأردن: دار غيداء.
11. شبانة، ن. (2009). الرؤى المكبّلة، دراسات في الشعر (الإصدار ط1). عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.
12. عبد الحق بالعابد. (2008). عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص (الإصدار ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
13. عبد الفتاح الحجمري. (1996) مدخل إلى عتبات النص. البنية والدلالة. منشورات الرابطة. الدار البيضاء. ط1.
14. عبد القادر رحيم. (2010). علم العنوان (الإصدار ط1). دمشق، سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
15. عبد المالك أشهبون. (2009). عتبات الكتابة في الرواية العربية (الإصدار ط1). اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
16. فوغالي، باديس. (2002). التجربة القصصية النسائية في الجزائر (الإصدار ط1). الجزائر: منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين دار هومة.
17. محمد وأخرون القاضي. (2010). معجم السرديات (الإصدار ط1). تونس: دار محمد علي للنشر.
18. معمر حجيج. (2018). رواية الليالي حبلّى بالأقمار (الإصدار ط1). الجزائر: المنقف للنشر والتوزيع.